

أجرى الحوار: جاسم عباس

الرعيل الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاوسوا مر الاثنين وذاقوا حلاوتها، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالاً ونساءً إلى أن حققوا الطموح أو بعضاً منه، ومهما اختلفت مهنتهم وظروفهم، بيد أن قاسماً مشتركاً يجمعهم هو الحنين إلى الأيام الخوالي.

صفحات من الذاكرة

سالم إحمامة: أبو حليفة قبائل متحالفة.. والإبل عز أهلها



● سالم سلمان محمد إحمامة العجمي

■ لم يكن في أبو حليفة أي محل سوى الخباز أكبر والقصاب بوسليمان

في مستهل لقائنا مع سالم سلمان محمد إحمامة العجمي قال: والذي ولد في الشرق في فريج العاقول الغني بالأشجار الشائكة التي كانت تعرف بشوكة الجمل وكما قال لنا، رحمه الله، كما نمشي بين العاكول وهي شجرة ارتفاعها حوالي قدم وأزهارها قرمزية اللون تكثر في فصل الصيف، كما تجففها وتقدمها للإبل وتستخدمها كوقود للطبخ، كنا نشاهد على أوراق العاكول، وأغصانها قشرات حاملا تتساقط جمعها وتستهلك منها علاجاً للاسهال، وما زالت المنطقة موجودة في الشرق، وفيها دوار أطلق عليه اسم «العاكول». وأضاف انتقلنا بعد ذلك إلى أعلى منطقة داخل السور، وعن الأكبر سكاننا وهي المرقاب البعيدة عن البحر، قال والذي: كنا نجلس على مرتفعات المرقاب ونتابع ونشاهد القادم والذاهب، منطقة تعتبر مصنعا للجبس «الجبص» ثم انتقلوا إلى الحصاصة إلى «رمادان» الآن تسمى ضاحية عبدالله سالم. وقال إحمامة: كما نسمع من اهاليها البدو الذين كانوا يسكنونها أنها مجموعة من الصخور وارتفاعات من الرمال لم يكن في هذه المنطقة إلا هذه المرتفعات، ولكن بعد بناء السور الثالث بدأنا نبني بيوتنا فأصبحت هذه المنطقة آمنة وبنيت ثانوية في المرقاب عام ١٩٥٩ والنادي في ١٩٤٥.

الحلف بين القبائل

يتابع إحمامة: وأخيراً سكنت عائلة إحمامة العجمي إحدى قرى الكويت الغربية بالأبار والزراعة، وهي قرية أبو حليفة من قرى القصور تقع على ساحل البحر جنوبي البيرة، وهي ضمن حدود العدان، وسميت أخيراً بأبو حليفة تصغير الحلف أي هناك حلف بين القبائل اقيم في هذه المنطقة فسميت أبو حليفة.

يضيف ساحل الحلف الممتد على امتداد العدان مواضع الغوص التي تسمى «الهيبرات» وهو حقل يستخرج منه المحار، والإهالي قديماً ينتجون السم، ولذا أطلق عليه السم العدائي لتمييزه عن غيره، وللعدان آيات من الشعر لـ الفرزدق:

فقلت نربني من زياد فأنني

أرى الموت ووقافاً على كل مرصد

وليست من اللاتي العدان مقيضها

يدحن خفافاً في الملا المعصد

أبو حليفة قرية سياحية ومنتج صيفي لوجهاء الكويت، فيها النخيل والسدر، وأبو حليفة حية بالأعشاب والامطار، بيوتها من الطين والصخر المستخرج من بحرها، ومزارعها غنية بالتصدير إلى الكويت أتت سيارة سلمان إحمامة العجمي تنتقل كل يوم بعد صلاة الفجر ووايت محمد الجري، وفهد الصمد سيارات كانت تنقل خير أبو حليفة وركابها إلى البيرة. وقال: وأنا صغير كنت أشاهد كبار السن كل منهم يشته تحت كفته ينتظر الإيجار ليوصله بنصف روبية ذهاباً وإياباً إلى ساحة الصفاة، يذهبون للتسوق، لأن أبو حليفة لا توجد فيها أي محل إلا خبازنا «الأكبر» والقصاب «أبو سليمان» أبو حليفة اوصلوا إليها الكهرباء عام ١٩٦٣. كنا نضيء ليلنا بالسراي والتريك والضغف بالكندري، ولكن الله سبحانه وتعالى عوضنا بالسما الصافية وضوء القمر في أبو حليفة كأنك في النهار، وعوضنا سبحانه من بحر المسلي بالماء العذب، شمال أبو حليفة ٦ آبار طيبة، وسكانها هم: بن إحمامة، المسفر، زياد المشوط الطيبان، رمضان، الرشايدة، الياني، هؤلاء من مؤسسي وساكني أبو حليفة.

الطب الشعبي

يضيف: علاج أهل أبو حليفة كان بالإساليب التقليدية والمكتسبة عن طريق الخبرات المتوارثة جيلاً بعد جيل، وأكثر العلاجات من طبيعة الأرض، والمعالج والملا والمؤن وامام وخطيب أبو حليفة الشيخ أبو إبراهيم والشيخ حسن، كانا يعالجان بالغاذا الطبيعي وبالك والحجامة والتجبير وأكثر العلاج

● والذي كان يستخرج اللؤلؤ

■ وصلتنا الكهرباء عام ١٩٦٣ وقبلها أضأنا ليلنا بالسراي والتريك

■ النخيل والسدر بالمئات والأبار بالعشرات دفنت تحت المباني

■ قديماً ضاع ولا نرى إلا العمارات والسيارات

وتابع: كما سمعت من الأولين أن «الحليفة» تسمية لمكان يظهر فيه نبات يسمى «حليفا» أو «الكفتا»، وزهرتها تسمى «كف مريم»، ويقال أنها زهرة خضراء لها فائدة، وإذا وجدتموها في هذه المنطقة أو في غيرها احتفظوا بها، وإذا شربت العاقر الماء المنقع بها تشفى بإذن الله، وإذا تعسرت ولادتها تمسك بيدها تلك الزهرة كف مريم تسهل عليها الولادة، وكان الناس يعتقدون ببركتها وتكثر بين الحجارة والأراضي الصلبة في أبو حليفة.

الحصوة لؤلؤة والدي

وقال سالم إحمامة: أفراد عائلتنا عملوا بالغوص على اللؤلؤ، وفي الهيبرات القريبة أو البعيدة، وكانوا يقولون بصوت واحد: «نزلنا منزل وأبرك دار على الهير والمحار بالله منزل مبارك وأنت خير المنزلين».



● نخيل أبو حليفة

غاص والذي لمدة تتراوح بين ١٢ و ١٤ ساعة مع راحة بين الفترات، عمل غواصاً مع مبارك الحكان النوخة المشهور لمدة سنتين، وغاص مع النوخة مبارك الزويد، وحصل على حصوة من أنواع اللؤلؤ، ويسمى أيضاً اللؤلؤ بإقمامة، وهناك من الغاصبة غير والذي حصلوا على سحيتت والجاس والقلاي، شقر، وسقباسي، أما اللؤلؤة الفريدة، فتسمى «دانة» أو حصبة، ولؤلؤة والذي هي الحصوة أو الحصبة.

وأضاف: بعد ذلك اشترى والذي يوماً كبيراً، ويعتبر من أشهر سفن الغوص، وهناك سفن أخرى مثل: البنتيل، بقارة، جالبوت، سنوبوك، شوغي، والذي استورت عمل الغوص على اللؤلؤ من جدي محمد إحمامة العجمي النوخة وله يوم خاص به.

عز أهلها

وتحدث عن الدور الذي قامت به الإبل في أبو حليفة، حيث ائرت في حياة كل مزارع أو تاجر لحوم ووقود والبنان، وقد تبوات الإبل المكاة الأولى في حياتها، كانت عزاً لأهلها، فهذا الجمل من الذكور وهو الجميل والشحم المذاب، وحتى الذي يقوده هو «جمالي» عظيم الخلق، وهذا البعير الذي كنا نشاهده في أبي حليفة كان هو الجمال البازل، كنا نشرب من لبن بعيري، ونفرض إذا رأينا «المخاض» أي الناقة الحامل، وإذا حمل الجمل المؤن قلنا وصل «البعير» والأبيض منه هو «العيس» ولا أنسى «الرغاء» صوت الإبل، والمقاتيل والوضح والصف من أعلى الإبل سعر الواحدة آلاف الدنانير، ولهذه الأنواع مكانة عند عشاق ومحبي الإبل ولا توجد غالباً إلا عند قبيلة «المر».

وقال إحمامة: إبل أبو حليفة ترضع في المراعي الطبيعية وتتغذى من نبات العرفج والرمث والرغل والقيصوم والشمام والنصي والشيخ والنثدي والعجرم، وكنا نستخدمها في الأعمال الزراعية واستخراج المياه والتنقل، وروثها للوقود والعلاج، ولبنها غذاء أساسي لنا، ولحمها كان أساسياً أيضاً، والآن تناقص عددها واتجهنا إلى لحوم الأغنام والإبقار. كما أن وبر الإبل يعتبر انعم من غيره من الاصواف أو الشعر، كنا نصنع منه ملابسنا والأغطية والعباءة والخيام والعقل والشمائل، وجلودها كنا نستخدمها في صناعة قرب المياه والدلاء وصنع الطبول والاحذية.

وأخيراً أذكر المدرسة التي درس فيها، فقد كانت من دون كهرباء، ولم تكن بحاجة لها إلا اثناء الفرض وبداية الدوام المدرسي ونهايته، فكان الجرس اليدوي له دور فعال ويؤدي الغرض، وكان أول مدرس في مدرسة أبو حليفة الأستاذ عبدالله العصفور المشهور بأبو عبداللطيف، وكانت مبنية من الطين واللبن. وفي سنة ١٩٦٠ افتتح فيها ميناء لشحن البترول والذي عرف بالرصيف الشمالي أو «السكل».

وذكر أبو سلمان إحمامة أن أبو حليفة غنية بالمشاشات، وهي عبارة عن آبار بحرها البدو، ليتجمع فيها الماء، وعندنا ثمانية آبار، وبلاسف كل الترات والقديم ضاع لا نرى من هذا المنتج السياحي إلا العمارات والسيارات.

اكت

وذكر أيضاً اللبن الخائر الذي كان يوضع في داخل كيس من القماش، تذكره إحمامة قطرات مائه تنزل منه حتى ينشف، ثم يجرا إلى لقيمت هذا وتعرض في الشمس، كنا نأكل هذا الاقط مع التمر، وأغلب اهالي الكويت، وأبو حليفة خدرو كانوا يحتفظون به إلى أوقات نادرة فيها اللبن، كنا نسحق الاقط ثم الماء ونشربه لبناً، وأما الجري، فهو لبن يرشح ماؤه ويصبح اقطاً بعد أن يجفف، وختم بالقول: سكان أبو حليفة استعملوا التمر علاجاً للصدر، وتغير لون أكثرنا من اكل التمر، وأنه يقلل الدود، وبلح أبو حليفة من الرنجبيل والعسل يدفع الضرر عن الإنسان.

■ زهرة «كف مريم» المنقوعة تشفي العاقر وتسهل الولادة المتعسرة

■ أبو حليفة قرية سياحية وفي الصيف تتحول إلى منتجع للوجهاء